

تفعيل عناصر التراث اللامادي في البرامج التعليمية للطفل - مقارنة نصية لنماذج من القصص الشعبي الجزائري -

*Activating Elements of Intangible Heritage in Educational Programs for Children
-A Textual Approach to Models of Algerian Folktales-*

رتيبة حميود

المدرسة العليا للأساتذة الشيخ العلامة مبارك بن محمد إبراهيم الميلي الجزائري، بوزريعة، الجزائر

hamioud.ratiba@ensb.dz

تاريخ النشر: 2026/03/31

تاريخ القبول: 2026/02/28

تاريخ الإرسال: 2025/04/22

الملخص:

تزخر الجزائر بتراثها المادي واللامادي الذي يغنيها عن سواها، ومع نظام العولمة الحديث صارت الأمم و المجتمعات تحاول قدر الإمكان خلق عوالم افتراضية عصرية للطفل، تساعد على التنشئة الاجتماعية السوية، وتخلق له عالما نفسيا متكاملًا يجمع بين ثقافة مجتمعه الأصيلة ذات الجدور الممتدة عبر آلاف السنين الضاربة في عمق حضارات سائدة وأخرى بائدة من جهة، وبين علاقات التأثير والتأثر مع ثقافات مجتمعات أخرى تنقلها له تكنولوجيا العصر الحديث عن طريق أنظمة الرقمنة التي تغزو كل الفئات الاجتماعية على اختلاف أجناسها وأعمارها ومستوياتها العلمية والمعرفية، ومن هذا المنطلق وكوني باحثة في ميدان التراث طرحت الإشكالية القائلة:

كيف يمكننا الاعتماد على تراث مجتمعاتنا في تفعيل البرامج الموجهة للطفل في عصر القرية الكونية عن طريق نصوص القصص الشعبي؟ وهل يمكننا استثمارها في ضبط سلوكيات الطفل وتعزيز صحته النفسية وسط هذا الانفجار العلمي الضخم المثل على ثقافات أجنبية غريبة عنه؟

الكلمات المفتاحية: الثقافة، التراث، الطفل، القصص الشعبي، التعليم.

Abstract:

Algeria is rich in its material and intangible heritage, which distinguishes it from others. With the modern globalization system, nations and societies are striving to create contemporary virtual worlds for children, helping them achieve proper socialization and creating a comprehensive psychological world that combines the authentic culture of their society, rooted in thousands of years of deep-seated civilizations, with the influences and interactions from other cultures brought to them by modern technology through digitization systems that penetrate all social categories, regardless of their genders, ages, and levels of education and knowledge. From this standpoint, and as a researcher in the field of heritage, I posed the question: How can we rely on our community's heritage to activate programs aimed at children in the era of the global village through folktale texts? Can we invest in them to regulate children's behaviors and enhance their mental health amid this massive scientific explosion overlooking foreign cultures that are strange to them?

Keywords:

Child; culture; education ;folktales, heritage,

● مقدمة:

لقد اهتم الدارسون بالثقافات الشعبية للأمم، وتبعوا مسارها الزمني والمكاني منذ القدم، وبات الأدب الشعبي بأجناسه المعروفة يحتل مكانة لا يستهان بها في مجال الدراسات اللغوية الحديثة، بل وصارت الجامعات تتعقب تلك النصوص الشعبية بالدراسة والتحليل، لأنها أثبتت مع مرور الزمن قدرتها على الصمود مع الإنسان في مختلف العصور والأزمنة التي عاشها، وتمكن الباحثون في ميدان الدراسات الشعبية، من إخراج النصوص التراثية من النظرة الضيقة، التي وضعتها في مقام طبقة معينة داخل المجتمع، إلى دراستها وتحليلها والاستفادة منها. شأنها في ذلك شأن الأدب الرسمي الفصيح، الذي تعج به البرامج التعليمية على اختلاف مستويات المتعلمين، ويعتبر القصص الشعبي من أهم النصوص القولية تداولاً بين الشعوب والأمم تناقلتها الذاكرة الشعبية الجماعية، جيلاً عن جيل مشافهة بالتواتر، وقبل الولوج في الحديث عن القصص الشعبي وكيفية الاعتماد عليه وتفعيله في البرامج التعليمية، واستثمار ما تحمله نصوصه لخلق فضاءات نفسية توجه سلوكيات الطفل وتحسن أخلاقه، لا بد أن نبين مدى قوة تأثير هذا التراث اللامادي على حياة الإنسان.

وبالاعتماد على المنهج الوصفي التحليلي، أثرينا هذه الورقة العلمية بمجموعة من النصوص القصصية الجزائرية، ثم اخترنا واحدة منها أنموذجاً للدرس والتحليل وفق الخطوات المعتمدة في كتاب اللغة العربية للسنة الثالثة من التعليم الابتدائي، كونها مرحلة جد مميزة في حياة الطفل، ينتقل فيها إلى طور جديد. فهل يمكن للنص الشعبي أن يحقق الأهداف المرجوة مثلما حققها نصوص الأدب الرسمي الفصيح؟

أولاً: الجانب النظري

1. القصص في القرآن الكريم

تعج آيات الذكر الحكيم بالنص القصصي، وتعتمد عليه في توجيه سلوكيات الإنسان وضبط تصرفاته، وخلق النموذج السوي الذي تحيا به المجتمعات وتقوى به الأمم، إذ يقول جلّ جلاله: (ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا ۖ فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ) (الأعراف: 176). وقوله تعالى: (فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا ۖ فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ ۚ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ) (القصص: 26). وتنوعت مواضيع القصص القرآني بين قصص الأنبياء والرسل، لقوله تعالى: (إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالتَّيْسِينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَابُورًا، وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ۚ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا) (النساء: 163، 164)، وقصص الصالحين من عباد الله كقوله تعالى: (لَقَدْ نَقَصْنَا عَلَيْكَ نَبَاهُمْ بِالْحَقِّ ۚ إِنَّهُمْ فِتْنَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَرَدَّنَاهُمْ هُدًى) (الكهف: 18). وقصص الأقيام والأمم، كما ذكر عزّ جلّ في قوله: (وَتَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ) (الفجر: 09) وقصص الطاغين الظالمين

المتجبرين من أمثال فرعون الذي ذكر في مواضع متعددة منها قوله تعالى: (اذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ) (طه:43)، وكذا قصص الحيوانات كما ورد في قوله جلّ وعلا: (حَتَّىٰ إِذَا أَتَوْا عَلَىٰ وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ) (النمل: 18).

وما جاء ذكرنا لوجود القصص في القرآن إلّا للتأكيد على وجود هذا اللون الأدبي منذ الأزمنة الضاربة في القدم، ومصاحبتها للمجتمعات الإنسانية لما فيه من قوة التأثير على سيرورة الحياة البشرية وتوجيهها ، وقد اتخذت منه الإنسانية منهجا وأسلوبا لضبط السلوكات اليومية للإنسان في علاقاته مع بعضه، ومع الكائنات والمخلوقات المنتشرة في الكون الذي يحيط به من جميع مناحي الحياة، وأبدع الإنسان في سرد تلك القصص، وتباينت مواضيعها وتعددت أهدافها و غاياتها، وحاولت تفسير كينونة هذا المخلوق المعقد، وسط كون أكثر تعقيدا لتخطي مسار الحياة والعبور إلى الموت بسلام.

2. القصص عند الإنسان

تداولت المجتمعات على اختلاف ألسنتها و معتقداتها النصوص القصصية، وكان للأخوان جريم الألمانيين في العصر الحديث، الحضور الراسخ من خلال ما قداماه : (في نشر مجموعة كتب كان لها تأثيرها الكبير عن القصص الشعبي الشفاهي)¹. وأهم كتاب لهما " حكايات البيوت و الأطفال " التي اقتبست من المجتمع الألماني ثم انتشرت حتى صارت من الأدب العالمي ، و من أمثلة القصص الألمانية التي صارت ثقافة عالمية نذكر : «سندريلا» و«الأمير الضفدع» و«هانس و جريتل» و«الجميلة النائمة» و«بياض الثلج».إنّها قصص باتت تعرض عبر شاشات السينما العالمية، وتتصدر المراتب الأولى من حيث نسب المشاهدة : (لا ينساها الأطفال بسهولة ، بل تستقر في أعماقهم وذكراهم...)².

والجزائر كغيرها من المجتمعات تمتلك زاد وافرا من القصص الشعبي، يمكننا استثماره وتفعيله بما يثري حافظة أولادنا، ويجعلنا نؤسس لقاعدة ثابتة قوية تدعم شخصياتهم. وقد تنوّعت مواضيع القصص الشعبية الجزائرية، وقام بعض الباحثين المختصين في التراث بوضع مدونات لتلك النصوص السردية الشفوية كالباحثة عائشة واضح التي أنتجت مؤلفا جمعت فيه القصص الشعبي ميدانيا من الذاكرة الجماعية، بمنطقة الغرب الجزائري فكان: (سجلا يتضمن منظومة فكرية تحتوي على مجموعة نفائس وقيم أخلاقية واجتماعية وتربوية تحيل الباحثين إلى الكشف عنها باستلهاهم ماضي الأمة واستثماره في حاضرهما ومستقبلها، لأنّ إحياء التراث ضمان لوجودنا وعنوان للاعتزاز بهويتنا)³.

إنّ جمع المتناثر من التراث الشعبي عموماً والقصة على وجه الخصوص ، صار حتمية علينا نحن الباحثين المختصين لأنّ وسائل الحياة في تطوّر و تغيّر مستمر: (و العولمة دخلت بوسائل اتصال حديثة صرفت الأذهان عن ذلك التراث الذي كان على مدى عقود وسيلة تربوية وثقافية وترفيهية، أدّى دوره في تعليم الناس القيم والمثل العليا)⁴

3. أنواع القصص المتداولة في التراث الشعبي:

1.3. القصة البطولية:

وجد الإنسان نفسه وسط كون تحكمه قوانين صارمة، تربطه منذ البداية بشنائيات الحياة والموت، الخير والشر، القوة والضعف...، وحتى يوفر لذاته بيئة تلائم متطلبات حياته، أنشأ ما سماه البطولة: (فكانت في البداية البطولة التي يصنعها الإله، ثمّ البطولة التي يصنعها الإنسان نصف الإله، وأخيراً البطولة التي يصنعها الإنسان)⁵ وهكذا كان تصوير البطولة متماشياً مع المسار الحضاري للإنسان، الذي كان يطمح دائماً إلى خلق عالم مثالي نموذجي يقابل الواقع المرير الذي يواجهه، ومن ثمّ بدأ يسرد القصص البطولية ويتناقلها عبر الأجيال.

وكانت البداية مع قصص البطولة القدسيّة، المرتبطة بالمعتقد الديني، وعلى رأسها قصة خروج سيدنا آدم وزوجه من الجنة، بوسوسة من إبليس، ولقيت القصة اهتماماً واسعاً وانتشاراً كبيراً في العصر القديم والحديث، ومن أشهر الكتب المقدسة التي سردت تفاصيل هذه الحادثة "كتاب الفردوس المفقود" للتلّث الإنجليزي، وغيره كثير من الذين اقتبسوا نسخهم من الكتب السماوية كالتوراة والإنجيل والصحف...، فكتبوا نماذج قصصية كثيرة، تحكي عن تلك الأسباب والظروف التي وردت مفصلة في القرآن الكريم في قوله تعالى: (قَالَ مَا مَنَّكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ ^ط قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ (12) قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ (13) قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمٍ يُبْعَثُونَ (14) قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ...) (الأعراف: 12-15)

تقول القصة الشعبية الجزائرية: (كي خلق ربي آدم عطى أمر للملايكة باش يسجدوا لو، إبليس تكبر وما بغاش وقال لو: " ياربي أنا خير منو وكنت قريب منك وعلمتني وذريتي مع الملايكة ، وايش قبلو في الجنة، ونعرف ومتعلم خير منو، وهنا ربي طردو من رحمتو، وخرجو من الجنة، إبليس بغى ربي باش يخليه، وما يدخلوش للنار حتى ليوم القيامة، خلاه ربي وقالو إبليس حتى واحد مارايح يسلك مني ، لا آدم ولا أولادوا ، على خاطرش على جالو خرجت من الجنة. وقعد إبليس يخمم ويدبر كيفاش يطيح آدم بصح الجنة محرمة عليه...) ⁶

تروي القصة أحداثاً تمت بصلة واضحة مع المعتقد الديني السائد في المجتمع ، وبالتّظر إلى الأحداث فهي متسلسلة تماماً كما جاءت في آيات الذكر الحكيم، ابتداء من خلق سيدنا آدم عليه السلام، إلى خروجه من جنة الرضوان بسبب وسوس إبليس الملعون الموعود بنار جهنم إلى حين يبعث جميع الخلق يوم القيامة.

يقول الله جلّ وعلا: ((وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ (30) وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَقْبِلُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (31) قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ (32) قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ (33) وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ (34) وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ (35) فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ (36) فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (37) قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبَعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (38))) (البقرة: 30-38).

2.3 القصة الخرافية:

من أهم المعتقدات والظواهر التي شغلت بال الإنسان القديم، وانعكست في مآثوراته الثقافية والأدبية، ظاهرة الروح "الحياة والموت"، وظاهرة الحيوان المختلف في شكله وطبعه عن الإنسان. وقد حاول أصحاب النظريات الفلسفية المختلفة، تفسير هذه الظواهر الغريبة، والمخلوقات الحيوانية العجيبة، ونسج حولها الإنسان قصصا خرافية تحكي ما وراء الطبيعة، وتحكي صراعات خفية تتعد عن منطق العقل والحياة التي يحياها البشر، ولعل أهم ما تحدثت عنه تلك النصوص المتباعدة، ظاهرة الروح "الموت والحياة"، فكانت الخرافة التي تجعل الروح تنتقل بكل يسر من جسد إلى آخر ومن الإنسان إلى الحيوان وحتى الأشياء، واستنبطت منها نظرية تناسخ الأرواح عند المسيحيين والشيعة، وعند غلاة التصوف، وهي أفكار يرجح أنها انتقلت إلى الفكر الديني عموما والإسلام خصوصا، من الفلسفات البوذية والهندية والفارسية واليونانية والفرعونية القديمة .

و لقد شدَّ انتباه الإنسان القديم عملية نمو القمر واختفائه المتكرر، فاعتقد أنه يخوض كل مرة تجربة الحياة و الموت، لكنه موت مؤقت . ولم يخل إله القمر بهذه الهبة على البشر، فأرسل إليهم رسوله يحمل إليهم رسالة الخلود لكن بعض الناس لم يصدقوا بها ؛ لأن بعضا من أقاربهم ماتوا بعد وصول الرسالة، فغضب الإله من الرجل الذي لم يصدق بالرسالة وصفعه وقلق شفته ومسحه أرنباً، بسبب تلك الحادثة الاعتقادية الشعبية ، كان من الناس من يتشاءمون من رؤية الأرنب، أولا يأكلون لحمه ؛ لأنه في اعتقادهم هو سبب محنتهم. أما ظاهرة الحيوان ، فنجد لها في التراث العربي نماذج عديدة من المعتقدات و الحكايات .

إنّ ثنائية الصّراع القائم و المستمر بين الخير والشرّ تجسّدته معظم القصص الشعبية التراثية : (فهو نمط يعكس أحلاما تعويضيّة ، في عالم سحري مثالي يسوده العدل والمساواة و الحبّ و السلام)⁷ وربما يتساءل الكثير عن أهمية استخدام هذا النوع من القصص ، فتكون الإجابة أنّ كتب هاري بوتر هي أكثر الكتب مبيعا في العالم ، وسلسلتها السينمائية تشدّ الكبير قبل الصغير، فعالم الطفولة عالم عجيب يحب المغامرة والإثارة ، ويحاكي الشخصيات التي لا وجود لها في العالم الواقعي، ويميل إلى تفضيلها، فلماذا لا نصنع له نماذج من داخل مجتمعه، يقرأ عنها القصص الشيقة والمغامرات الخيالية التي تحقق ملذات خياله الواسع.

ومن القصص الخرافية الجزائرية، اخترنا قصة العبد لكحل المتداولة في الغرب الجزائري ملخصها: (وحد التّهار كان وحد الأمير متزوّج بأميرة شابة بزاف، وكان عنده وحد العبد كحل يخدم عنده، وكان يعرف السّحر، علّم سيّد كيفاش يدير سحر، و كان هذا العبد بيعي امرأة الأمير عاجباته، ويحوّس يقتل الأمير باش يطبق يزّوج بها. وحد التّهار ، الأمير كان خارج للصيّد و اذا معاه العبد ، صيّد الأمير حمامة ، قال له العبد: " كوني ثوري لي يا سيدي يلا راك تعرف تسحر كما علّمتك ، قال الأمير شا تبغي نوري لك ؟ قال له العبد : " حوّل روحك لهذا الحمامة" ، فلوقت اللّي تحوّل فيه الأمير للحمامة حول العبد روحه لأمر، وبغى يطير على الحمامة يجيفها، طارت و حطّت فوق شجرة من أشجار القصر...) ⁸.

3.3 القصة الشعبيّة:

تنوعت القصص الشعبية وتباينت مواضيعها، ولعل أكثرها تأثيرا وشيوعا، تلك التي تسرد على لسان الحيوان، لترسم عالما موازيا لحياة البشر، مليئا بالإثارة والشّعف، يسمح للطفل بإطلاق العنان لمخيلته والسفر عبر تلك الفضاءات التي يبدعها فكره، أين يتمكن من ممارسة كل ماهو مستحيل وغير منطقي في عالمه الواقعي الحقيقي، المقيد بقواعد صارمة وأسس لا يمكن الحيّاز عنها: (إنّها طريقة من طرائق تجسيد اللاوعي عند الصبي... إذ يسمح فيها لنفسه أن يسقط ما بداخله من أفكار على الأحداث، والأشخاص دون أن يخشى عقابا أو نكرا)⁹

إنّ الطفل يتلذذ بقراءة وسماع ورؤية مثل هذه القصص ، لأنّ الحيوان من أهم المخلوقات التي يحبها، ويشعر بالغبطة والسرور، وهو يشاهد قطا يرقص ويغني ، أو أرنا يحكي مع صديق له كالغزالة مثلا، لذلك كانت و لازالت القصص على لسان الحيوان أكثر القصص التي يعجب بها الطفل ، واخترنا منها القصة الشعبية الجزائرية الشهيرة: " قسمة الذّيب" ملخصها: (قال لك وحد الخطرة ، السّبع والذّيب والضبع صيدوا حمار وغزالة وحجل، جابوهم وقعدوا، قال السبع " اقسما " ، قال الضّبع: " السبع يدي لحمار ، وأنا ندي الغزال و الذّيب يدي الحجلة، السّبع ما عجبش لقسيم، ضرب ذاك الضبع بمخالبه قسم لو ظهره، قال لذّيب : " آيا تشوف اقسام "، قال الذّيب : " سيد السبع يفطر بلحمار، و يتعشى بلغزال، ويتقهوى الصّباح بلحجلة " السّبع عجبته قعد يضحك و قال له : " شكّون علّمك تقسم؟ قال له الذّيب: " مخالب السّبع في ظهر الضبع يعلموا القسمة بالطّبع ")¹⁰.

إنّ هذا النمط من القصص، يجعل الطفل يشعر بالفرح وهو يتصوّر حيوانا يقوم بسلوكات بشرية لا يراها في واقع حياته اليومية: (و هذا لما تحمله من عنصر التشويق في كونها حيوانات لها من التفكير ما يجعلها تتكلّم و تفكّر وتفرّق بين الخير و الشرّ) (عائشة 30). ثمّ إنّ الطفل يغدي خياله عندما يبدأ في تتبع أحداث الحكاية ويصنع فرضيات و يحلل و يناقش و يتمنى حدوث هذا من عدم حصول ذلك، فتدور الأفكار في ذهنه و تتسع دائرة مخيلته إذ يضاف لها ما تجسّده المغامرات التي يقوم بها الحيوان البطل.

كما نجد القصص الشعبية تحمل في طياتها أشكالا أخرى من نصوص التراث اللامادي، ألا وهي المثل الشعبي، ويظهر هذا في الختام دائما، كما ورد في نهاية هذه القصة المثل الشعبي القائل: "مخالب السبع في ظهر الضبع يعلموا القسمة بالطبع".

ثانيا: الجانب التطبيقي:

تعتمد هذه الورقة العلمية في شقها التطبيقي، على قصة تراثية شعبية جزائرية، وقعت أحداثها حسب ما تداوله الرواة، في منطقة ريفية من قرى الجزائر، واخترنا هذا النص دون سواه لأنّه أكثر القصص تداولاً وانتشاراً منذ القديم، بطلته امرأة تدعى "صابرة". تحصلنا عليه بالرواية الشفوية من أفواه قائله ونحن ننتبع نصوص التراث اللامادي عن طريق الجمع الميداني.

1. منهج التحليل المعتمد:

اعتمدنا على خطوات تحليل النصوص، المتبعة في الكتاب المدرسي للسنة الثالثة من التعليم الابتدائي.

2. الهدف من الدراسة: الاستفادة من النصوص التراثية واستثمارها في البرامج التعليمية للطفل.

3. ملخص القصة الشعبية " صابرة" باللغة العربية الفصحى:

كانت الفتاة صابرة تعيش مع والديها في كوخ صغير، في قرية صغيرة قرب الغابة، وكانت تتردد يوميا إلى الغابة لجلب الحطب إلى منزل أهلها، وفي يوم من الأيام غفت عيناها ونامت تحت ضلال الشجرة، ولم تستيقظ حتى جن الليل، وشعرت بالخوف والهلع عندما فتحت عينيها على صوت الأسد وهو يكلمها سائلا: ماذا تفعلين وحدك هنا؟ فأجابته بأنها نامت واستغرقت في النوم من شدة التعب، فقال لها الأسد: لا تخافي سأقلّك إلى منزلك سالمة حتى لا تعترض طريقك الذئب والضباع، وفعلا تم لها ذلك، فدخلت إلى المنزل فرحة مسرورة، وبقي الأسد برهة من الزمن ينصت حديثها، حيث تفاجأ بسماعه ما ذكرته به قائلة: صحيح حملني على ظهره لكن رائحة فمه كريهة جدّا لم أتمكن من تحمله. فانصرف الأسد مترعجا، وعاد في اليوم الموالي يحمل فأسا وطلب منها أن تضربه به على رأسه لتجرّحه، وكان لهما ذلك، ثم رجع الأسد بعد مدّة من الغياب، وسألها قائلا: أين مكان الجرح يا صابرة، فنظرت إليه ولم تعثر على أثر الفأس، وهنا قال لها الأسد كلاما صار مثلا شعبيا شهيرا يقوم مقام الحكمة،

نصه: "ضربة الفيسان" جمع فأس" مهما يطول جرحها تبرا، وضربة اللسان مهما طال الزمان ماتبرا يا صابرة" وفي مناطق أخرى يقال: "كلش يبرا يا صابرا، وادوايه ضميده، غير كلمة العار يا صابرا تمسى وتولي جديدة". ويتم تدعيم النص القصصي بالصورة أسفله، يظهر فيها الأسد بقوة وعنفوانه، مع المرأة الريفية الجزائري، بلباس يثبت هويتها وإتتمائها الحضاري للوطن.



4. التحليل والدراسة

1.4. كلماتي الجديدة:

تتردد	تذهب
غفت	نامت
أقلقك	أوصلك
برهة	لحظة
تعثر	تجد

2.4. أقرأ وأفهم:

* أين جرت أحداث القصة؟ اذكر شخصياتها.

* اختر الإجابة الصحيحة:

* ذهبت صابرة إلى بيت عمته / إلى الدكان / إلى الغابة .

* لماذا قصدت صابرة هذا المكان؟

* من أوصل صابرة إلى منزل والديها؟

* ماذا قالت صابرة عن الأسد؟

* لماذا شعر الأسد بالغضب؟

* لو كنت مكان صابرة ماذا تقول للأسد؟

3.4. أتعرف على: الصفة و الموصوف

كانت الفتاة صابرة تعيش مع والديها في كوخ صغير، في قرية صغيرة

ألاحظ وأميز: تتبع الصفة الموصوف في العدد و النوع

أكمل الجملة باستعمال صفة " المجتهد"

التلميذ.....يراجع دروسه باستمرار

التلاميذ.....يراجعون دروسهم باستمرار

التلميذة.....تراجع دروسها باستمرار

4.4 استخلص العبر:

– هل جزاء الإحسان إلا الإحسان؟

– قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

" المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده" حديث شريف. الصحيحين

5.4. استثمر وأعبر:

تحيل نفسك مكان الفتاة صابرة، ماذا كنت ستفعل؟ اكتب فقرة وجيزة تحكي لنا كيف تكافأ الأسد على ما

مساعدته لك؟

5. أهمية الدراسة:

عند توظيف نص القصة الشعبية، في الكتاب المدرسي الموجه للطفل، في المراحل التعليمية الأولى يمكننا ترجمتها إلى اللغة العربية الفصحى لمسيرة البرنامج، لأن المغزى من استخدام التراث الشعبي، هو استخلاص العبر والاستفادة من الخبرات السابقة لبناء مستقبل ناجح، فما هي هذه القيم يا ترى؟

لقد ركزت قصة صابرة على أمر غاية في الأهمية، نبهنا الله عز وجل إليه من خلال العديد من الآيات القرآنية من مثل قوله تعالى: (مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ) (ق: 18)، وقول أيضا: (يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) (النور: 24).

فلسان الإنسان مضغة صغيرة داخل فمه، ولكن وجب ضبطه بدقة متناهية، فكل ما يخرج منه من لفظ أو قول له من الأهمية ما جعل الرسول عليه الصلاة والسلام يؤكد على ضرورة الحفاظ على ألسنتنا فقد ورد في حديث معاذ بن جبل: قلت: يا رسول الله، أخبرني بعمل يدخلني الجنة، ويباعدني من النار، قال: لقد سألت عن عظيم، وإنه ليسير على من يسره الله عليه، تعبد الله ولا تشرك به شيئا، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت، ثم قال: ألا أدلك على أبواب الخير؟ الصوم جنة، والصدقة تطفئ الخطيئة، كما يطفئ الماء النار، وصلاة الرجل في جوف الليل، ثم تلا: تَتَحَفَّى جُؤْبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ حَتَّى بَلَغَ يَعْمَلُونَ) ثم قال: ألا

أخبرك برأس الأمر، وعموده، وذروة سنامه؟ قلت: بلى، يا رسول الله، قال: رأس الأمر الإسلام، وعموده الصلاة، وذروة سنامه الجهاد، ثم قال: ألا أخبرك بملاك ذلك كله؟ قلت: بلى، يا نبي الله، فأخذ بلسانه، وقال: كفّ عليك هذا، فقلت: يا نبي الله، إنا لمؤاخذون بما نتكلم به؟ قال: تكلتك أمك يا معاذ، وهل يكب الناس في النار على وجوههم، أو على مناخرهم، إلّا حصائد ألسنتهم. (الألباني، هداية الرواة ص،، 28 أخرجه الترمذي (2616).

وأسهبت العرب حديثها عن اللسان، ونظمت فيه أجود القصائد والحكم، تبرز دوره وضرورة الحفاظ على ما يصدره من قول، بل جعلته نصف الإنسان، والفؤاد نصفه الثاني. وجاءت القصة الشعبية الجزائرية لترسم هذه اللوحة الفنية وتؤكد أن صيانة اللسان تصون الفرد، فبعدما كان ملك الغابة في خدمة تلك المرأة الضعيفة، وصاحبها من مخاطر الوحوش المفترسة من الذئاب والضباع، لم يسلم من كلامها القبيح الذي وصفته به، ورغم قوته وجبروته فإن تلك الكلمات انمالت عليه كالصاعقة، وسببت له أذى نفسيا كبيرا، والدليل كان في موقف الفأس والجرح العميق الذي نزف منه دمه غزيرا، ومع ذلك نسيه و انتساه ولكن تلك الكلمات الجارحة لم يتمكن من تجاوزها، لتختتم القصة الشعبية بحكمة وعصارة تلك التجربة. إن هذه القصة الشعبية تعلم الطفل كيف يصون لسانه منذ صغره، ويتوخى الحذر مما يقول ويلفظ.

كان هذا تحليل بسيط لواحدة من قصص شعبية كثيرة، يزخر بها التراث الشعبي اللامادي الجزائري، الذي نسعى، إلى دمج وتفعيل نصوصه المختلفة، في البرامج التعليمية للأطوار المختلفة، لاسيما الطور الابتدائي، وتخصيص محاور تتعلق بالثقافة الجزائرية وتراثنا العريق الحافل، الذي تزخر به ذاكرة أمة مرت عليها حضارات كثيرة، تركت على أرضها الطيبة بصمات لا يمحوها الزمن.

6. الخاتمة:

إن الحديث عن التراث الشعبي شيق، وشغف البحث فيه يزداد بحصولنا على المواد التراثية المتنوعة، وتعاملنا المباشر مع حامله من الرواة، خاصة نصوص القصة، ربما لأنها من أكثر الأجناس الأدبية الشعبية استقطابا للإنسان، فالبشر بطبعهم يميلون إلى سماع الأحداث وتتبعها إلى النهاية، التي ينتظرون أن تكون دائما سعيدة. ومن خلال ما طرحناه في هذه الورقة العلمية نستخلص النتائج والمقترحات الآتية:

- إن الطفل الجزائري، أمانة لا بد أن نحافظ عليها، ولهذا يتوجب علينا وضع ما يحمله مجتمعنا من ثقافات شعبية تشعره بالاعتزاز والافتخار بانتمائه الحضاري، وتمنحه الثقة والقوة، والقوة، ما يغنيه ويصرفه عن التبعية وتقليد ثقافات المجتمعات الأخرى.

- يمكننا استثمار كل النصوص الشعبية، وإدخالها في البرامج التعليمية للمراحل الأولى، حتى يتسنى للطفل التعرف على عالمه المحيط به في ظل هويته الوطنية المتميزة عن الآخر، وانتمائه الحضاري العميق، الضارب في جذور الإنسانية.

- إنَّ القصة الشعبية تنفس عن الطفل مشاق الدراسة، وتسافر به إلى عوالم غريبة عجيبة تثير مخيلته، وتريح عقله.
- إنَّ هذه القصص الشعبية يمكنها أن تستفيد من نظام الرقمنة وتكنولوجيا الإعلام والاتصال وتصنع لوحات فنية رائعة تتعدى مجال القراءة إلى مجال المشاهدة الممتعة.
- تعد القصة الشعبية مدرسة تتنوع فيها القيم والمبادئ والأخلاق، تؤثر على سلوك الطفل وتوجه تصرفاته في علاقاته المستمرة مع محيطه الخارجي.
- إنَّ الثقافة الشعبية الجزائرية، هي مصدر قوتنا بين الأمم واستثمار تراثها اللامادي في البرامج التعليمية، ينمي شعور الانتماء في نفوس التلاميذ، ويبيّن لهم جذورا متينة، تقوى على حمايتهم من الذوبان وسط ثقافات مجتمعات غريبة عنهم.
- وفي ختام الحديث نأمل أن تعمم هذه الدراسات، وتكاثف جهودنا، لنواصل جمع المتناثر حتى لا يضيع، ويدفن في ذاكرة من ن فقدهم يوميا، لأنَّ أطفالنا لا يمكن أن نصنع منهم نماذج بشرية سوية ذات شخصيات ثابتة ورسنية إلّا بالابتعاد عن ثقافة الاستهلاك الخارجي وتوطيد صلتهم بما هو موجود في مجتمعهم ، فمعركة الحياة المعاصرة تتطلب الاعتماد على ما نملكه نحن ، لا على ما يمتلكه غيرنا ، وفي هذا المقام يحضرنى مثل شعبي أهني به هذه الورقة العلمية يقول : " لمكسيّ بقش الناس عريان".

7. الهوامش:

1. دورسون : نظريات الفلكلور المعاصرة ، ترجمة وتقديم محمد الجوهري و حسن الشامي ، 1972م، ص 12
2. يوسف عبد التواب: الطفل العربي و الأدب الشعبي ،الدار المصرية اللبنانية 1992م، ص 15.
3. عائشة واضح: القصص الشعبي المتداول بمنطقة الشمال الغربي الجزائري، منشورات دار الأديب الجزائر 2017م، ص5.
4. محمد سعيد محمد: دراسات في التراث الشعبي ، الطبعة الأولى ، وزارة الثقافة والمجتمع المدني ، طرابلس 2013م، ص 7. 8.
5. عبد الحميد بورايو: الأدب الشعبي الجزائري ، دار القصة للنشر الجزائر 2007م، ص 91.
6. عائشة واضح: القصص الشعبي، ص 33.
7. محمد رجب النجار: المأثورات الشعبية العربية دراسات تأصيلية و قضايا معاصرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة 2021م، ص 253.
8. المرجع السابق ، ص 135.
9. جلال الربيعي: قراءات أنثروبولوجية، دراسة في كتابات الدكتور محمد الجويلي، الطبعة الأولى مكتبة علاء الدين صفاقس 2008م، ص 79.
10. عائشة واضح: مرجع سابق 186.

8. قائمة المصادر والمراجع:

• القرآن الكريم رواية ورش عن نافع.

- الربيعي، جلال. (2008). قراءات أنثروبولوجية: دراسة في كتابات الدكتور محمد الجويلي. صفاقس: مكتبة علاء الدين
- دورسون، د. (1972). نظريات الفلكلور المعاصرة (ترجمة وتقديم محمد الجوهري وحسن الشامي) -
- واضح، عائشة. (2017). القصص الشعبي المتداول بمنطقة الشمال الغربي الجزائري. الجزائر: دار الأديب
- بورايو، عبد الحميد. (2007). الأدب الشعبي الجزائري. الجزائر: دار القصة للنشر
- النجار، محمد رجب. (2021). المأثورات الشعبية العربية: دراسات تأصيلية وقضايا معاصرة. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب
- محمد، محمد سعيد. (2013). دراسات في التراث الشعبي (ط1). طرابلس: وزارة الثقافة والمجتمع المدني
- النووي، يحيى بن شرف. (2008). شرح الأربعين النووية (تحقيق وتعليق محمد بن ناصر العجمي، ط1). بيروت: دار البشائر الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع.
- عبد التواب، يوسف. (1992). الطفل العربي والأدب الشعبي. القاهرة: الدار المصرية اللبنانية.